

صحيح ان هنالك عوامل خارجية عدة لعبت دوراً مهماً في وقوع تلك الهزائم؛ لعل أهمها هو ذلك التأييد المستمر الذي حصلت، وتحصل عليه، الحركة الصهيونية، ثم اسرائيل، وخلال فترات طويلة، من الدول العظمى، وخصوصاً الغربية منها، بريطانيا ثم فرنسا، فالولايات المتحدة، في مراحل متلاحقة؛ الا ان هذا، بحد ذاته، لم يكن سبباً كافياً، اذ اضيف اليه، بصورة شبه دائمة، التواني والتقاعد والاهمال وعدم ادراك طبيعة التحدي وتجاهل الخطر من قبل الطرف العربي، مما جعله دائماً الطرف الخاسر. وعندما تصرف العرب بطريقة أخرى، وان تم ذلك في حالات محددة للغاية، تغير الوضع لصالحهم.

ولعل في تراث عبد الناصر، على سبيل المثال، ما يثبت ذلك كلياً. ف «الريس» - رحمه الله - كان قد اقام الدنيا واقعدها على الاستعمار واسرائيل، والهيب مشاعر العرب ضدهم، ولم يتوقف يوماً عن التحذير من مطامعهم وخطرهم على المصالح العربية. الا انه، كما ظهر بوضوح فيما بعد، لم يقرن القول بالعمل، وعلى وجه التحديد لم يستطع انشاء اجهزة الدفاع القادرة على التصدي لذلك الخطر. ونتيجة لذلك، منيت مصر، ومعها العرب، خلال عهده، بهزيمتين كبيرتين؛ احدهما، وهي حرب ١٩٦٧، عرفت، وعن حق، باسم «الهزيمة الكبرى»، التي كانت قد تمكنت اسرائيل خلالها، وفي أقل من اسبوع، من تحطيم ثلاثة جيوش عربية، واحتلال مناطق من الاراضي العربية تزيد مساحتها أكثر من ثلاث مرّات على ما كانت احتلتها سنة ١٩٤٨، وبضمن ذلك كل ما بقي غير محتل من الاراضي الفلسطينية حتى ذلك الوقت.

الا ان ما لم يتمكن «الزعيم الخالد» من تحقيقه، انجزه السادات، مع طاقم القيادة العسكرية المصرية، بعد عملية استعداد واعادة تنظيم هادئة ومنهجية، استغرقت بضع سنوات، ووجدت تعبيراً عنها في حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٣. فقد تمكن الجيش المصري، بأدائه، خلال الساعات الاولى من تلك الحرب، من تحطيم عجرفة اسرائيلية تكونت خلال ربع قرن. وكما هو معروف، وصل الهلع الاسرائيلي، خلال الساعات الاولى من تلك الحرب، الى حد تفكير بعض القادة الاسرائيليين بضرورة الاعلان عن نهاية «مملكة اسرائيل الثالثة»، بينما فكرت غولده منير، رئيسة حكومة اسرائيل آنذاك، بالانتحار.

صحيح ان حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) مهّدت، في نهاية المطاف، لكامب ديفيد. الا ان الصحيح، أيضاً، انه لولا تلك الحرب لاستمر الغرور الاسرائيلي، الذي كان سائداً قبلها، على حاله، ولما وافقت اسرائيل، وأياً كان الثمن الذي حصلت عليه، على الانسحاب من الاراضي المصرية بكاملها. فقد «اقتعتها» تلك الحرب، ببساطة، ان العالم العربي، أو ربما مصر، «كبيرة» عليها، ولا يمكن مجابقتها الى ما لا نهاية. وهنا كمننت بداية الطريق نحو التفكير بحلول، ومن ثم قبولها.

وليست دروس حرب تشرين الاول ( اكتوبر ) هي «المسار» الوحيد الذي يمكن الاشارة اليه، للتدليل على «قدرة» الاسرائيليين على «الفهم» و«التعلم» عندما توجه اليهم الضربات الملائمة واستخلاص العبر المترتبة على ذلك، ونكتفي هنا بالتنبؤ به «مسارين» مماثلين.

فخلال النصف الاول من الخمسينات، وعلى وجه التحديد خلال السنوات ١٩٥٣ - ١٩٥٦، اعتادت اسرائيل على شن الحملات الانتقامية على الدول العربية المجاورة، وخصوصاً الاردن، رداً على عمليات التسلل التي كان الفدائيون واللاجئون الفلسطينيون يقومون بها، عبر الحدود،